بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاص- المرحلة الرابعة- جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المحاضرة الاولى: مدخل لدراسة علم الكلام.

تعريف العقيدة.

العقيدة لغة: على وزن فعيلة، من (العَقْدِ) وهو الربط والشدّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسُك والمراصَّة بين أطراف الشيء، والاصل استعماله مع الاشياء المادية كالحبل والبناء فيقال: عقد الحبل، وعقد البناء، ثم استعمل هذا اللفظ مع الاشياء المعنوية فيقال عقد اليمين وعقد البيع وعقد النكاح، وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة).

العقيدة اصطلاحاً: الإيمان واليقين الجازم بالله ، وما يجب له من الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العلى، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه الصحابة -رضي الله عنهم-.

موضوع علم العقيدة :

التوحيد ، والإيمان ، والإسلام ، والغيبيات ، والنبوات ، والقدر ، والأخبار ، وأصول الأحكام القطعية ، وسائر أصول الدين والاعتقاد .

أهمية علم العقيدة.

علم العقيدة علم جليل القدر، عظيم الفخر، هو أجل العلوم على الاطلاق، فهو اساس الدين وزبدة رسلات المرسلين، وشرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات، وتتضح أهمية هذا العلم من خلال ما يأتي:

١. ان العقيدة هي الغاية من خلق الجن والانس، قال الله –تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {سورة الذاريات، الآية: ٥٦} والعبادة على الصيح المختار هي توحيد الله- سبحانه وتعالى-.

٢. هي الغاية من ارسال الرسل قال الله –تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ {سورة النحل، الآية: ٣٦}والرسول- ﷺ- قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله .هي عهد النبوة ، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جُلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا

إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله - تعالى- بالعبادة والألوهية، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء ، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة .

٣. ذا تأملنا القرآن الكريم ، المنزل على رسول لله - ﷺ - رحمة للعالمين ومنهاجاً للمسلمين إلى يوم الدين ، وجدنا أن أغلبه في تقرير العقيدة وتقرير أصولها ، وتحرير العبادة والطاعة لله وحده لا شريك له ، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، لذلك نجد أن أغلب آيات القرآن الكريم في العقيدة : إما بصريح العبارة، وإما بالإشارة ، حيث إن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وأصول الإيمان والإسلام ، وأمور الغيب والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر ، والجنة وأهلها ونعيمها ، والنار وأهلها وعذابها ، وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور .

٤. ان العقيدة هي من أهم اسباب تحقيق الأمن والاهتداء في الدنيا والأخرة قال الله –تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ {سورة الانعام، الآية: ٨٢} مفهوم الآية يدل على ان صاحب التوحيد التام له الامن التام والاهتداء التام.

٥. انها مصدر القوة القلبية، فالعقيدة الصحيحة هي الدافع والمحرك للعمل والمثبتة في الأزمات –تعالى-: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ {سورة التغابن، الآية: ١١}.

تعريف علم الكلام القديم.

هو علم يُقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، ويعتمد على الدلائل العقلية والمنطقية.

أسباب تسميته بهذا الاسم.

اشتهر بهذا الاسم لعدة اسباب اشهرها:

١. إن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع حولها في القرون الاولى كانت مسألة (كلام الله) هل هو أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث ؟ فسمي العلم باسم أهم مسألة فيه.

٢. أنه يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين جانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٣. لعل أوجه الاسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا فيما كان السلف من الصحابة والتابعين يسكتون فيه، فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي السكوت اقتداً بالصحابة والتابعين الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلا بحد ضيق.

٤. لأن هذا العلم كلام صِرْفٌ، وليس تحته عمل.

الفرق بين علم الكلام والعقيدة.

١. علم العقيدة يعتمد في اثبات العقائد الاسلامية على الادلة من الكتاب العزيز وصحيح السنة النبوية الشريفة واجماع الصحابة والتابعين، أما علم الكلام فيعتمد في اثبات العقائد الاسلامية على الدلائل العقلية المنطقية.
٢. العقيدة غاية وهدف ، أما علم الكلام فهو وسيلة من وسائل اثبات العقائد والدفاع عنها.

وبهذا يظهر لنا ان العقيدة متى سلمت من المباحث المنطقية والفلسفية فهي علم عقيدة ، ومتى صيغت بالمنطق والفلسفة في الدلائل والمسائل للدفاع عنها فهي علم كلام.

وظائف علم الكلام

اضطَلَعَ علم الكلام -عند نشأته وفي كثيرٍ من عصوره -بمهمتين أساسيتين:

أولاً: بيان العقائد الإسلامية، والبرهنة على صدقها بالأدلة العقلية، والرد على الشبهات والشكوك التي توجه إليها من خصومها على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ومواقفهم من العقائد بصفة عامة.

ثانياً: مناقشة عقائد المخالفين، وتقديم البراهين والحجج على بطلانها وبيان زيفها، وهي مهمة مكملة للأولى، ولعل المتكلمين فيها كانوا يطبقون الفكرة القائلة بأن الهجوم هو خير وسائل الدفاع.

وهذا يتفق وما قرره الأمام أبو حامد الغزالي-رحمه الله- (ت ٥٠٥ ه) الذي بين أن مقصد علم الكلام هو: حفظ العقيدة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، الذين ألقى الشيطان في وساوسهم أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها. وقد بذل علماء الكلام على اختلاف مدارسهم، جهودا كبيرة في مواجهة خصومهم من أهل الأديان الأخرى من الثنونية والدهرية والملاحدة وأمثالهم، وألفوا في ذلك ال كتب والرسائل، وعقدوا المناظرات، وسافروا للقاء أهل الشبهات في مواطنهم، ونجحوا في إقناع كثير من هؤلاء الخصوم ببطلان عقائدهم، وكان ذلك موضع فخرهم واعتزازهم، ونظروا إلى عملهم على أنه أرفع العلوم وأعلاها، وأنفعها وأجداها، وأحراها بعقد الهمة بها، وصرف لزمان إليها؛ لأنه المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام..، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبني الشرائع والأحكام، وبه يترَقى في الإيمان باليوم الأخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان.

تعريف علم الكلام المعاصر.

يرى بعض الباحثين ان علم الكلام المعاصر هو اضافة مسائل جديدة الى الاطار المعروف لعلم الكلام التقليدي، وعليه كلما أضيفت مسائل مستحدثة الى علم الكلام تجدد هذا العلم.

أسباب نشوء علم الكلام.

هناك عوامل ساهمت في نشوء وتطور علم الكلام، وهي احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الفلسفية، عن طريق اللقاء المباشر والجدل مع أصحابها، أو عن طريق الترجمة التي بدأت في عهد الدولة الأموية، ثم اتسعت في عهد الدولة العباسية.

وكان للخليفة المأمون أثر كبير في هذا، حيث فعل ما لم يفعله السابقون، وهو أنه ترجم الكتب الخاصة بالإلهيات والأخلاق وأمثال ذلك مما سموه بـ (ما وراء الطبيعة).

وليس من غرضنا هنا أن نعرض بالتفصيل لحركة النقل والترجمة وأثرها والمنهج الذي سارت عليه والطريق الذي اتخذته، وحسبنا إشارة سريعة إلى الاحتكاك المباشر بين المسلمين وغيرهم عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتهيأت الأسباب لهذا الاحتكاك المباشر بين المسلمين واليهود من جهة، وبين المسلمين والنصارى من جهة ثانية، وكذلك بين المسلمين والمجوس، ثم بينهم وبين الفلسفة اليونانية وغيرها.

فاليهود أثاروا الجدل بين المسلمين حول الذات الإلهية والصفات، ومعروف عنهم التشبيه والتجسيم كما هو في كتبهم، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي مما عرف بـ (الإسرائيليات) في كتب التفسير والحديث.

وأثاروا أيضا بين المسلمين الجدل حول الجبر والاختيار وغير ذلك من أمور عقائدية، وعندئذ قام المسلمون بالرد على مفتريات اليهود وشبهاتهم وناقشوا عقائدهم، واصطنعوا لذلك منهجا يقوم على النظر والدليل، وأما النصارى؛ فقد بدأ الجدال بينهم وبين المسلمين في الحبشة أولا، عند الهجرة الأولى للمسلمين، في حقيقة المسيح، وفي الكلمة وغيرها، وفي مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح، وحول مسائل الألوهية، وفكرة الجوهر والعَرَض، والأقانيم الثلاثة، والوحدانية، وفكرة الخطيئة والصلب.

وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها، أثر في بعض المسلمين الذين فتنوا بها، فحاولوا التفلسف في ضوئها وتأثروا بها منهجا وموضوعا حين راحوا يفسرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام، وفسّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني، ومع أن هذه الفلسفة وسَّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، فإنها غشَّت على أبصارهم في فهم القرآن.

ومن هذا العرض الموجز للعوامل المؤثرة في نشأة علم الكلام يمكن أن نقول: إن هذه النشأة كانت استجابة لضرورة طبيعية ملحة، تمثلت في مشكلات سياسية واجتماعية نجمت في حياة المسلمين، وباتت تهدد باستفحالها المطرد البناء الديني، الذي قام عليه المجتمع الإسلامي. كما تمثلت في تحديات دينية وفلسفية مع الأديان والفلسفات القديمة، باتت تروج بين المسلمين وتهدد بنية العقيدة الإسلامية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. **المرحلة الرابعة**

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

نشأة ووظائف علم الكلام الجديد.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد- ﷺ -، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اما بعد.

تعود بذور التفكير الكلامي الجديد على الساحة الإسلامية إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي إلى زمن شروع التحديات الفكرية والثقافية الغربية التي رافقت الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي. وقد كان للمستشرقين دورٌ فاعلٌ في تكوين هذا الجوّ العام نتيجة الانتقادات الحادّة التي وجّهوها إلى كافة مرافق الفكر الإسلامي، لا سيما السنّة النبوية الشريفة، وقد انبرى جيلٌ من العلماء في تلك الفترة لمواجهة هذا الواقع الفكري المرفوض في الوسط الديني، وكان أبرز هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني في ردّه على الدهريين، وجاء بعد ذلك جيلٌ آخر تمثل بالشيخ محمّد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهم فسجّلوا أبحاثاً هامة على هذا الصعيد، وتحوّل المشكلات الكلامية من طابع الإجابة عن أسئلةٍ واستفهاماتٍ، وملاحظاتٍ أثارتها ظاهرة الاستشراق أو الظاهرة العلمانية، والقومية المتعاظمة أو التيار الماركسي... إلى تقديم صياغاتٍ متكاملةٍ لمشاريع فكرية كبرى صارت تمثّل تحدّيات، فلم تعد القضية، بحيث إنّنا نجيب عن تساؤلٍ وإشكاليّةٍ واردةٍ، وإنما صارت هناك مسؤوليةٌ جديّةٌ لتقديم مكونٍ متكاملٍ في موضوعةٍ ما؛ فالظاهرة الدينية ككل صارت بحاجةٍ إلى تفسيرٍ فلسفي متكاملٍ وشاملٍ، وموضوعة المرأة ليست كامنةً في إشكاليّة الحجاب أو الستر... وإنّما في عرض نظريةٍ متكاملةٍ متناغمةٍ متناسقةٍ حول هذا العنصر البشري.هذا التحدي ضغط بثقله على النشاط الكلامي ، فحال علم الكلام الجديد ليس كحال علم الكلام القديم قبل الطوسي والغزالي والفخر الرازي و... وبعدهم، أو كحال علم الحديث قبل الموسوعات الكبرى كالكافي وصحيح البخاري و... وبعد هذه الموسوعات.

سبب تسميته بعلم الكلام الجديد.

ان علم الكلام الجديد هو في جوهره علم الكلام التقليدي القديم، ولكنه تكامل وتتطور في مجمل نواحيه المعرفية فبدا وكأنه علم آخر، شأنه في ذلك شأن البذرة التي تنمو حتى تصبح ثمرة فلا تعود تشبه تلك البذرة في شيء من صفاتها، ولكنهما في الجوهر واحد.

فبعد تجدد كل ما يحيط به على أثر المعطيات العلمية الجديدة من علم النفس والاجتماع والفلسفة النقدية والمادية والوجودية، كان لا بد من إعادة طرحه بثوبه الجديد الذي يتلاءم مع الواقع الجديد، لهذا سمي علم الكلام الجديد في إشارة إلى أمرين:

١ - أنه في جوهره عين علم الكلام القديم، بدليل أنه ينطلق نحو الغاية نفسها التي كان ينطلق القديم لتحقيقها، وهي الدفاع عن الدين الإسلامي. ويحتفظ بموضوعه مع توسعة فيه جعلته أشمل مما كان عليه.

٢- أنه يختلف عن القديم في أنه متجدد في مجمل أبعاده المعرفية كما مر

موضوع علم الكلام الجديد .

تبين مما تقدم أن علم الكلام الجديد يدور حول محور أكثر اتساعاً وشمولية مما كان سابقاً، فهو يبحث عن الأمور العقائدية والأمور الأخلاقية، بل عن بعض الأمور الفرعية المختلفة في مجالات شتى، وهو ما يجمعه كلمة " القضايا الفكرية المعاصرة، وبالتالي يمكن القول ان الموضوع الاساسي الذي يتناوله علم الكلام المعاصر هو الشبهات المستجدة التي تاثر حول الدين في هذا العصر.

هذا وقد توالد بعد عصر النهضة، وخصوصاً في القرنين الأخيرين، مجموعة علوم جديدة تناولت مختلف جوانب الحياة، منها ما يمس بالدين بشكل مباشر، ابرزها:

- فلسفة الدين وما استتبعها من دراسة الأديان من خارج الدين وتحليل منشأ الدين لدى البشر، وإجراء مقارنة بين الأديان.
- الفلسفة الحديثة وما تركه "كانت" من تشكيك في إمكان الوصول إلى اليقين في الأمور الماورائية، وفي جدوى الدين في خلاص البشر من مشاكلهم، من خلال أسئلته الأربعة: ماذا أستطيع أن أعلم؟ وماذا أستطيع أن أفعل؟ وعلى ماذا أستطيع أن أعقد الأمل؟ ومن أنا؟
- علم النفس، وما ابتكره داورين من إشكالات حول تطور البشر، وبالتالي تطور معارفهم، ومنها الدينية، وما استتبعه من النزعة الإلحادية التي عمت العالم الغربي، فأنكر الخالق، ثم أنكر الدين.
- علوم الإنسان وما أثارته من تساؤلات حول الغرض من وجود الإنسان، وحول

كون الدين في خدمة الإنسان أم الإنسان في خدمة الدين، ومن الذي خلق الآخر؛ الله، أم الإنسان؟

- العلوم السياسية وما طرحته من نقد العلاقة بين الدين والسياسة.

- العلوم الاجتماعية، وما اثارته من شكوك حول علاقة الانتاج وأدواته بالدين والأخلاق والروحيات إلى درجة اعتبار الدين أفيون الشعوب.

وقد ولد كل واحد من هذه العلوم مجموعة من الشبهات تُضعف فكرة الدين عموماً، وتدعو إلى الإلحاد واعتماد العلمانية بديلاً لمعالجة مشكلات البشر.

وبملاحظة كل هذا الكم الهائل من الشبهات التي تعترض طريق الدين من مختلف جوانب الحياة، كيف يمكن لنا أن لا نلجأ إلى علم كلام جديد يترك وراءه الكثير من الجدالات العقيمة، ويبرز إلى ساحة الصراع بعتاد جديد ورؤية وخطة جديدتين؟

هذا، فضلاً عن وجود مسائل بحثت في علم الكلام القديم، وهي من اختصاص علوم أخرى كالاقتصاد مثلاً وكالعلوم الطبيعية، ما يعني وجود تشويش في بُنية هذا العلم.

كل هذا ما يدعو اليوم لتجديد علم الكلام تجنباً لتلك السلبيات، ودفاعاً عن الإسلام في مواجهة الشبهات المستجدة، وبالتالي محاولة بنائه من جديد على ضوء ما وصل إليه الفكر الديني من نضج وغنى تفاعلاً مع التطور العلمي الحاصل في العصر الحديث.

في ضوءِ ذلك يتضح أننا أمامَ عِلمين: "علم الكلام القديم"، و"علم الكلام الجديد"، وليس عِلماً واحداً، فعلى الرغم من اشتراكهما بالاسم، لكنّ توصيفَ "الجديد" يجعله مفارقاً للقديم بشكلٍ كبير، فهو وإن كان يشترك معه في بحثِ جملةٍ من الموضوعات نفسِها، لكنه لا يضيف موضوعاتٍ جديدةً لم يعرفها علمُ الكلام القديم فحسب، بل إن طريقةَ بحثه ونتائجَه ومراميَه مختلفةٌ، ذلك أنّ كلاً منهما له مقدماتُه المعرفية، ومنهجُ بحثه، وأدواتُ تفسيره، ومفاهيمُه المفتاحية، وكيفيةُ رؤيته للعالم.

وظائف الكلام الجديد:

إن الوظائف الرئيسية التي يمارسها علم الكلام تتمثل - وفق ملاحظات جملة من الباحثين- في أمور ثلاثة:

أ- محاولة شرح وتبيين المفاهيم الاعتقادية بالصورة المناسبة القادرة على احتواء، واستيعاب المضمون إلى أبعد الحدود، ونقله بأمانةٍ ودقّةٍ، وبالتالي تحجيم وتقليص الأخطاء والاشتباهات التي يمكن أن يسببها سوء أو قصور الخطاب، والعرض الكلامي، ويأتي هنا دور تحديد المصطلح السليم الذي يبعد عن حدوث التداخلات والاختلاطات بحيث يعكس بوضوحٍ، ما يريد أن يحكي عنه بأقلّ قدر ممكن من الانفلات والتضيّق.

ب- محاولة إثبات المفاهيم الاعتقادية وإقامة الأدلة والبراهين عليها من خلال

توظيف مختلف أنواع الإثبات المنطقية والمعتبرة قياساً واستقراءاً و... على المستوى العقلي، أو النصّي، أو التاريخي، أو التجريبي أو غير ذلك.

ج- محاولة رد ودفع الإشكالات والشبهات الموجّهة إلى المعتقدات الدينية والمذهبية. ويعتقد هؤلاء الباحثين أنّه لو قبلنا بعلم الكلام الجديد أو رفضناه، فإن الوظائف المتوجبة على علم الكلام اليوم هي نفسها الوظائف التقليدية الثلاث المتقدمة. وهذا التوصيف أو تلك التوصية كأنها تفترض مسبقاً انتهاء علم الكلام من البناء الاعتقادي ومن ثم هو يقوم، أو يجب أن يقوم بتبيينه، أو إقامة الدليل عليه، أو الدفاع عنه بردّ الانتقادات الموجّهة إليه، وهذا يستدعي أن يكون ثبوت المعتقد الديني، أو المذهبي لدى العقل الكلامي أمراً مفروغاً عنه، ويُراد لعلم الكلام أن يعرضه أو يبرهن عليه للآخر، وهذا يتطلّب معرفياً أن نكون قد هيأنا ما يجهّز لعلم الكلام هذه المعتقدات ليقوم بدور خدمتها، لأن المتكلم إذا خرج بنتيجةٍ تعارض المعتقد المذهبي مثلاً، فإنه سيخرج عن دائرة الكلام؛ أي عن دائرة الأنا إلى دائرة الآخر وبالتالي سيتم اعتباره خارجاً عن حريم علم الكلام؛ لأن هذا العلم قد افترض فيه شيءٌ من الالتزام والتعهّد، وهذا خللٌ منهجي علمياً؛ لأن أهمّ خصيصةٍ من خصائص العلمية اليوم هي خصيصة الموضوعية، وبالتالي، فنحن بحاجةٍ إلى كلام ديني ليس غرضه - من ناحية علمية صرفة لا دينية - الدفاع عن الدين بل غرضه البحث حول الدين.

وهذا التعديل في وظيفة علم الكلام يمكنه أن يؤمّن له:

أ- ديناميكيّة فعّالة ناتجة عن إفساح المجال للتعددية الفكرية في النطاق الكلامي، وبالتالي إفساح المجال لتقبّل أي تطوير جوهري، لأن تكثير الخطوط الحمراء من الناحية العلمية يضر بتقدّم العلم تقدماً ملحوظاً.

ب- توسيع نطاق الأنا العلمي الأمر الذي يفعّل من النقد الذاتي البنّاء؛ لأن الباحث لم يعد بحاجةٍ إلى تقمّص شخصيةٍ أخرى عندما يريد نقد الكلام الإسلامي، أو اليهودي أو غيره ، أمّا علم الكلام بشكله الحالي، فإنه يضيّق من مساحة النقد الذاتي، إذ يفترض أن قسماً كبيراً من عمليات النقد هي عمليات خارجية أي من الخارج لأنها تنقد الدين أو المذهب لا داخلية، وهذا قد يفقد علم الكلام في تركيبته الداخلية فرصاً للنقد الذاتي، والتنقل بين الأفكار بحريةٍ أكبر نتيجةً لذلك، الأمر الذي صار ضرورةً لنموّ أيّ علمٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. **المرحلة الرابعة**

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

ابرز نظريات علم الكلام المعاصر.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

استُعمل مصطلح «الكلام الجديد أو المعاصر» في الأوساط العلميّة الإسلاميّة لأوّل مرّة من قِبَل الكاتب الهنديّ سيّد أحمد خان؛ حيث قال في خطاب له عام ١٢٨٦هـ : إنّنا نحتاج اليوم إلى علم كلام جديد، نستعين به على إبطال التعاليم الجديدة، أو إثبات مطابقتها لمراتب الإيمان في الإسلام، وبعد ذلك، جرى استخدام هذا المصطلح في كتابات العالم الهنديّ شبلي النعمانيّ (١٣٣٢هـ)، والمهمّ هنا أن نقف على المقصود من «الكلام الجديد»، ومفردة «التجديد» في هذا التعبير؛ فهل إنّ صفة «الجديد» هذه نعت للعلم، أم لمسائل العلم؟ يمكن أن نُحصي في المقام اثني عشر نظريّة؛ لكنّنا سنكتفي باستعراض نظريّتين أساسيّتين منها:

نظريّة النسخ.

تبتني نظريّة نسخ الكلام الجديد للكلام القديم على رؤية لا تؤمن بأيّ علاقة تجمع الكلام الجديد بالقديم غير «الاشتراك اللفظيّ» في العنوان؛ حيث يرى أصحاب هذه النظريّة أنّ اختلافاً جوهريّاً يفصل بينهما، فما لبث الكلام الجديد بالظهور حتّى نُسخ الكلام القديم واضمحلّ. وما ذلك إلا بسبب ما طرأ في العصر الراهن على البيئة الفكريّة العامّة من تقلّبات وتبدّلات، وانهيار الجزميّة العلميّة أو الفلسفيّة، حتّى بات «إثبات العقائد الحقّة» الذي كان هدفاً للكلام التقليديّ ـ يوماً ما ـ في عِداد المستحيلات. وفي كلمة واحدة: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الساحة الفكريّة المعاصرة تحكمها اليوم تساؤلات ومطارحات جديدة، وتسودها مناهج ومبادئ ومناخات مختلفة، تتطلّب أساليب جديدة في الحديث عن «الله»، و«النبوّة»، و«الإنسان»، و«المعاد»، و«الوحي) ولعلّ أبرز ما تعاني منه هذه الرؤية: معاداتها للموروث التقليديّ، وانبهارها بحركة التطوّر في الغرب.

نظريّة التكامل .

ذهب أصحاب هذه النظريّة إلى أنّ صفة «الجديد» نعت متعلّق بالشبهات والأساليب الكلاميّة، نافين الاختلاف الجوهريّ المدّعى بين الكلام الجديد والقديم، فالكلام

الجديد عندهم ليس إلّا نموذجاً متكاملاً للكلام القديم، واستمراراً له. ومن هنا، قال بعض روّاد هذه الرؤية ان علم الكلام الجديد استمرار للقديم، وليس بينهما اختلاف جوهريّ. ويمكن رصد التجديد في الكلام عند أمور ثلاثة؛ أحدها: أنّ الردّ على الشبهات هو أحد أهمّ مهامّ علم الكلام، وطالما أنّ الشبهات متجدّدة، فالكلام يتجدّد كذلك. فلا ينبغي الاعتقاد بإمكان مجابهة الشبهات بالأساليب والأسلحة القديمة على الدوام؛ فإنّنا بحاجة ـ أحياناً ـ إلى أسلحة جديدة. ومن هنا، يحتاج المتكلّم إلى معرفة المسائل الحديثة. وبالتالي: يتّضح أنّ علم الكلام يتغذّى وينمو عبر المعارف الجديدة، مثلما ينمو بالمسائل الجديدة كذلك، أمّا التفسير السائد والمتداول عن صفة «الجدة» في «الكلام الجديد» فهو عدّها نعتاً للمسائل والقضايا الكلاميّة؛ بما يعني أنّ الكلام القديم تناول ـ في الأعمّ الأغلب ـ القضايا المتعلّقة بالإلهيّات والمعاد؛ بيد أنّه اليوم يلج مدارات بحثيّة أكثر اتساعاً، فيتناول أبحاثاً مرتبطة بعلم الإنسان
(الأنثروبولوجيا)، وعلم الأديان، وغير ذلك.

النظريّة المختارة .

الحقّ أنّنا إذا انتهينا إلى اضطلاع «علم الكلام» ببيان المعتقدات الدينيّة وإثباتها والدفاع عنها، فلا محيص من عدّ «الكلام الجديد» استمراراً للكلام التقليديّ؛ وهو بذلك ليس مشابهاً لحال الفيزياء القديمة نسبةً إلى الحديثة، ليكون الجديد ناسخاً للقديم منها. أمّا لو كان المراد من «الكلام الجديد»: العقائد الدينيّة التي تناولتها الإلهيّات المسيحيّة البروتستانيّة الحديثة ـ حيث يُنفى الإله المحدّد والمعاد الدينيّ، ويُعدّ الوحي فيها تجربةً دينيّةً شخصيّةً فاقدةً للعصمة، ويُصار إلى حقّانيّة جميع الأديان على إطلاقها ـ ففي هذه الحالة، لا مانع من كون الكلام الجديد ناسخاً للقديم. ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يمكن تسمية شيء كهذا بعلم الكلام، وعدّه علماً يستهدف الدفاع عن المعتقدات الدينيّة؟! فهل يجوز لنا مثلاً أن نعدّ السارق الذي يُخلّ بالأمن في المجتمع حارساً؟! أو أن نسمّي الجنديّ المتعاون مع العدوّ بالمدافع عن ثغور البلاد؟! أو أن نصف المجرم الذي يبيع أعضاء مرضاه بالطبيب؟! لا شكّ في أنّ أيّاً من هذه التسميات لا تجوز. وعليه: لا يمكن تسمية من يسعى إلى إنكار المعتقدات الدينيّة، ويدافع عن الشبهات الاعتقاديّة بدل الردّ عليها، ويلعب في أرض المسيحيّة البروتستانيّة «متكلّماً إسلاميّاً»، فغاية ما يمكن تسميته به: أنه «فيلسوف دينيّ».

ومن العَجب العُجاب دخول البعض في المعترك الكلاميّ بزيّ الفلاسفة، ثمّ وصف أنفسهم بالمتكلّمين، ليغيّروا على الناس معتقداتهم، ويسعون في خرابها، وكذا عدّهم :«التفلسف» كواحدة من المهامّ التي يضطلع بها هذا العلم؛ حتّى قال قائلهم

يضطلع علم الكلام ـ علاوةً على مهمّته في ردّ الشبهات، وبيان المعارف، وإثبات » المباني والأسس الدينيّة ـ بمهمّة جديدة؛ تتمثّل في علم معرفة الدين؛ وعلم معرفة

.(الدين نظرة خارجيّة إلى الدين. ولذا، سمّي الكلام الجديد أحياناً بفلسفة الدين
وهذا المدّعى باطل؛ لأنّنا سنبيّن ـ لاحقاً ـ الفرق بين «فلسفة الدين» و«علم الكلام
.«الإسلاميّ».
نستنتج ممّا تقدّم أنّ الكلام الجديد استمرار للكلام القديم، وعلينا أن نستعرضهما معاً
.في إطار واحد، ونظام موحّد ومتناسق تحت مظلّة علم الكلام الإسلاميّ المعاصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المرحلة الرابعة- ابرز الوسائل لتطوير علم الكلام.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد- ﷺ - وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

إن من اهم من الخطوات العمليّة لتطوير علم الكلام الجديد او المعاصر هي:

أولا: أدوات المجتهد في علم الكلام

يحتاج المجتهد في علم الكلام ـ وهو الذي يستطيع أن يبدي رأياً، ويناقش أدلّة الآخرين ويقدّم أدلّة بديلة ـ إلى أدوات أساسيّة، تماماً كالنجّار الذي يحتاج لمجموعة أدوات، فيجب أن توضع هذه الأدوات أمام المتكلم، لتمكّنه من البحث في القضايا الكلاميّة الجديدة، وقد يكون عمل المتكلّم من هذه الناحية أصعب من عمل رجال الدين الاخرين وإن كان كلاهما معنيّاً بالمنظومة الاعتقاديّة، وأكتفي هنا بذكر ثلاث أدوات أساسيّة، هي:

أ ـ التاريخ .

إنّ صاحب علم الكلام القديم ـ خاصّةً في سياق الفلسفة العقليّة ـ غيرُ معنيّ عادةً بالتاريخ؛ لأنّه يبحث انطلاقاً من البديهيات ويرتّب الأقيسة والبراهين، فينطلق من نظريات أساسيّة كأصالة الوجود أو أصالة الماهية والصفات، أمّا المتكلّم فلا يمكنه أن يصبح مجتهداً في علم الكلام الجديد إلا أن يكون ذا ثقافة وخبرة في التاريخ؛ لأنّ بعض الموضوعات الأساسيّة العمدة في نشاط المتكلّم تقوم على القضايا التاريخيّة.

وعلى سبيل المثال قضايا النبوّة والإمامة والمعاد ترتبط في جزئها الكبير بالوثائق التاريخيّة، فلا يمكن للمتكلّم أن يتكلّم عنها دون أن يكون خبيراً في التاريخ.

ولا يمكن للمتكلّم أن يجلس في زاوية بيته أو مكتبته ليحلّل مثل هذه القضايا الكلاميّة على طريقة علم الكلام القديم ، بل هو بحاجة إلى مطالعة جميع الوثائق التاريخيّة المرتبطة بأي موضوع؛ أو نظرية حتى يحكم بصحّة تلك النظريّة.

نعم، بعض القضايا العامّة المعلومة من الدين بالضرورة، لا تتعلّق بالتاريخ، لكنّ مسائل تحتاج الى بحث ومعرفة مستمرة حتى يكمل المسير .

لا يمكن للمتكلّم أن يكون له رأي في هذا المجال دون أن يتمسّك بقضايا علم التاريخ وعلم الحديث وتاريخ الاديان وعلم التفسير والاعجاز، فهو مطالب بأن تكون له ثقافة تاريخيّة ـ بالمعنى الواسع للكلمة ـ حتى يتمكّن من الوصول إلى مجموعة نتائج فيما يتعلّق بأي بقضيّة، إذن، الثقافة التاريخية اليوم حاجة أساسيّة في نشاط المتكلّم.

ب ـ دراسة مناهج التفكير.

المعروف أنّه يعتبر الدفاع عن العقائد الدينية ومواجهة الإشكاليّات، المهمّةَ الأساس لعلم الكلام، لكنّ التحدّيات والإشكالات على الدين لا تنحصر اليوم بالقضايا الجزئيّة، بل هناك الكثير من الإشكالات التي ترتبط بالجذور المعرفيّة لمنظومة المفاهيم الدينيّة، بحيث لا يستطيع المتكلّم ـ بوصفه المحامي والمدافع عن القيم العقائدية الدينيّة ـ أن يجيب عن هذه التحدّيات إلا بخبرة واسعة بهذه القضايا التي تقع على رأسها مناهج التفكير.

تنبني المنظومة العقائديّة الإسلاميّة في الأعمّ الأغلب على المنطق الصوري (الأرسطي)، بينما اليوم ظهرت مناهج تفكير جديدة في العالم تختلف مع هذا المنطق اختلافاً جذرياً، وهذه المناهج عمّت ـ بسبب عُدَدها المعرفيّة وجاذبيّتها الخاصّة ـ جميع البلاد الإسلامية بحيث صارت جزءاً من أدبيّاتها، وعلى سبيل المثال المنطق الذي لا يقبل بمعارف غير حسّية، قد دخل بقوّة في المدارس والجامعات بحيث

يتربّى أولاد المسلمين منذ صغرهم عليه، وهو يختلف كثيراً عن مناهج القدماء في تناول القضايا الكلاميّة، فإذا أراد المتكلّم أن يفهم الآخرين وإشكالاتهم، فإنّ عليه أن يتعرّف بالدرجة الأولى على مناهجهم في التفكير.

عندما تأتي اليوم الفلسفة الوضعيّة وتغزو العالم الإسلامي لتقول: إنّ قواعد منطق أرسطو باطلة، بينما نبني نحن علم الكلام كلِّه على قواعد هذا المنطق في الأقيسة والعكوس والتناقض وغيرها، كيف يمكن للمتكلّم اليوم أن يدافع عن منهج البحث الديني، إذا لم يكن خبيراً بمناهج التفكير؟

عندما أقول: يجب أن يكون خبيراً في المنطقيّات، لا أعني بذلك أن يكون خبيراً في كتاب «المنطق» بل أعني من ذلك أن يكون خبيراً في جميع مناهج التفكير القديمة والجديدة من المنطق الصوري، إلى المنطق التجريبي، والمنطق الرياضي، والمنطق الاستقرائي وغير ذلك.

إذا لم يستطع المتكلّم المعاصر أن يفهم اليوم آخر ما توصّلوا إليه في مجال نقد المنطق الذي تقوم عليه الدراسات الإسلاميّة، فكيف يمكنه أن يدافع عن العقائد الإسلاميّة؟! فعلى المتكلّم أن يكون متخصّصاً في هذا المجال أو لا أقلّ عليه أن يملك ثقافة واسعة فيه، حتى يستطيع أن يفهم الآخر عندما يناقشنا كيف يناقش؟ حتى لا يقع تائهاً أمام إشكالات يُسجلها زيد أو عمرو ممن ينتمون إلى الفكر الآخر، ولا يفهم عليهم ماذا يقولون أو يفهمهم بشكل خاطئ؟

ج ـ الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة

يحتاج المتكلّم المعاصر إلى الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة؛ إذ قد دخل العالَم بقوّةٍ اليوم في مدار العلوم الإنسانيّة، التي تقع على تماسٍ مباشر مع القضايا الدينيّة في كثيرٍ من الأحيان، فظهرت تحدّياتٌ كبيرة بالنسبة إلى الفكر الديني في قضايا العلوم الإنسانيّة، وعلى المتكلّم المسلم أن يجيب عن هذه الإشكالات ويدافع عن القضايا الدينيّة إزاء النظريّات الجديدة في العلوم الإنسانيّة كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما، أو أنّ عليه أن ينتفع بمنجزات العلوم الإنسانيّة المقبولة لديه لمزيد من وعي القضايا الدينيّة.

لقد اختلفت الأمور كثيراً بعد أن دخل العالم في القرن العشرين، خاصّةً بعد الحرب العالمية الثانية واتّجه نحوَ العلوم الإنسانيّة بعد أن كان مهتمّاً أكثر بالعلوم الطبيعيّة، ولذلك نجد المفكّر المسلم في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان همّه تطوّر العلوم الطبيعيّة الذي تحوّل إلى مشكلة للدين، ولذلك إذا لاحظنا كتب التفسير التي كُتبت في تلك الفترة ـ القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ـ سنجدها

كانت تهتمّ كثيراً بإثبات أنّ القرآن يشتمل على الكيمياء والفيزياء والطبّ وحقائق الفلك وعلوم الأحياء وغير ذلك، حتى أنّهم ألّفوا كتباً موسوعيّة ضخمة كي يثبتوا أنّ في القرآن جميع العلوم الطبيعيّة؛ لأنّ مشكلتهم كانت مع العلوم الطبيعيّة، حيث كانت تظهر يوميّاً نظرياتٌ جديدة تُشعر المتكلّم المعاصر بأنّها تعارض المنظومة العقائدية الإسلاميّة، فأراد أن يوفّق بين العلوم الطبيعيّة والإسلام، لكن بعد أن دخل العالم في القرن العشرين، تحوّلت الأمور وصارت العلوم الإنسانيّة تحظى بأهمية أكبر من العلوم الطبيعيّة خاصّةً ما بعد الحداثة، فظهرت نظرياتٌ جديدة في قضايا علم الاجتماع، وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم اللغة، وغير ذلك.

من هنا، ظهرت اليوم تحدّيات كثيرة وكبيرة في قضايا العلوم الإنسانيّة التي تُشعر الإنسان بأنّها قد تقع في مقابل المنظومة الفكريّة الإسلاميّة، بل والدينيّة عموماً، فعلى المتكلّم المعاصر أن يتعرّف على العلوم الإنسانيّة ويفهم تلك النظريّات حتى يستطيع أن يدافع عن العقائد الإسلاميّة أو يتعمّق في فهمها، وكما كتب السيد جمال الدين (الأفغاني) ردّاً على الدهريّين، مستنداً إلى معطيات العلوم الطبيعيّة والفلسفيّة، كذلك المتكلّم اليوم هو بحاجة إلى أن يفهم المشاكل التي تواجه الدين من خلال العلوم الإنسانيّة.

بل قد تكون الأمور اليوم أصعب من الماضي؛ لأنّ قضايا العلوم الإنسانيّة تدخل في كثير من مجالات الحياة وتؤثّر على نمط حياتنا من حيث لا نشعر، وقد نجد في يومٍ من الأيّام أنّ النظام التعليمي والتربوي والإعلامي و.. كلّها باتت تقوم على نظريّات غربية علمانيّة تقع في مقابل المنظومة الاعتقاديّة الإسلاميّة، فرصد مثل هذه النظريّات يحظى بأهمية بالغة.

عندما يواجه المتكلّم المسلم قضايا العلوم الإنسانيّة، عليه أن يتّخذ موقفاً منها، الأمر الذي يتطلّب منه أن يكون مطّلعاً عليها، ولا نقول: يجب على المتكلّم أن يكون متخصّصاً في التاريخ أو متخصّصاً في علم النفس ـ ولا يكلّف الله نفساً إلا وسعها ـ لكن عليه أن يكون مطّلعاً على ما يجري في تلك العلوم التي تُعدّ من أساسيات النقد على الإسلام أو النقد على الدين عموماً.

وبعبارة موجزة: لكي ننهض بعلم الكلام ونطوّره نحتاج إلى فتح باب الاجتهاد في هذا العلم، والمجتهد في علم الكلام بحاجة إلى أدوات أساسيّة وعلى رأسها: علوم التاريخ وعلوم المنطقيّات والمناهج والعلوم الإنسانيّة، فكلّما تفتّحت آفاقنا في هذه العلوم، أمكننا أن نصوغ دفاعاً أفضل عن الدين من الدفاع الذي يمكن تقديمه ونحن لا نعرف شيئاً عن التاريخ أو المناهج أو العلوم الإنسانيّة.

ثانيا: الخطوات الضروريّة لتطوير علم الكلام.

بعد أن تحدّثنا عن بعض الأدوات اللازمة لتطوير علم الكلام، علينا أن نبرمج هذا التطوير من خلال تحديد بعض الخطوات الضرورية التي علينا أن نقوم بها، وسأكتفي هنا بذكر خمس خطوات أساسيّة، وهي:

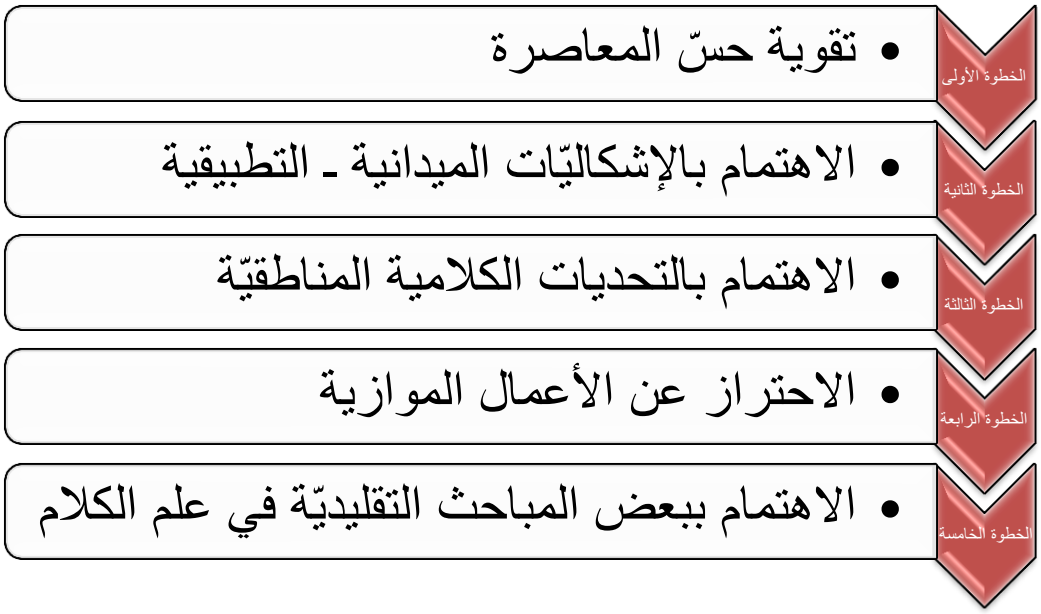

الخطوة الأولى: تقوية حسّ المعاصرة.

الخطوة الأولى التي علينا أن نقوم بها لتطوير علم الكلام، خاصّةً على صعيد المؤسّسة الدينيّة، هو ما أسمّيه: تقوية حسّ المعاصرة، فكما أنّ للإنسان حواسَّ ظاهريّة مثل اللّمس والبصر والسمع والذوق والشمّ، هناك حسّ باطني يجب أن يتكوَّن لدينا وهو حسّ المعاصرة، بأن تهمّنا القضايا المعاصرة ونرصدها بشكل متناوب، كأنّنا نملك أجهزة كشف وإنذار حسّاسة (رادارات) بالقضايا المعاصرة التي تتعلّق بالدين، فأينما طُرحت قضيّة جديدة تمسّ الدين، نلتقطها مباشرة، ونشعر في أعماقنا بأنّنا معنيُّون بها، وتستفزنا للتفكير، لا يمكن اليوم أن نكتفي بما طرح قبل ألف عام، ونترك جميع الإشكالات المعاصرة، صحيح أنّ ما طرُح في الماضي أيضاً مهمّ ونحن معنيّون بها ولكن هذا لا يعني أن نترك قضايانا المعاصرة التي تبدو أهمّ بالنسبة إلينا.

الخطوة الثانية: الاهتمام بالإشكالات الميدانيّة ـ التطبيقيّة

ظهرت في الغرب مدرسةٌ فكرية معروفة، شهدت رواجاً عظيماً في القرن العشرين، وأخذت تعمُّ العالم كلّه لتهيمن اليوم على الكثير من مساحات التفكير التي ترى أن القضيّة العلميّة، هي القضيّة القابلة للاختبار والتجربة بالحسّ ليس إلا، وبهذا تخرج القضايا غير الحسّية عن أن تكون قضايا علميّة، وعلى سبيل المثال قضية «الطقس ممطرٌ اليوم» قضيّة علميّة؛ لأنّها قابلةٌ للاختبار بالحسّ والتجربة، لكنّ قضية: «الله موجودٌ» ليست قضية علميّة أساساً؛ لأنّها غير قابلة للاختبار عبرَ الحسّ والتجربة، فيجب إخراجها من العلوم، ومثلها الكثير من القضايا الدينيّة. هذه مدرسة بالغة الخطورة في التفكير الإنساني عالمياً، وقد شهدت سلسلة تجاذبات في الغرب وانتُقدت، لتتراجع بعض الشيء نظريّاً منذ سبعينيات القرن الماضي.

انتشر هذا التفكير في جميع أرجاء الأرض، ونحن المسلمين أيضاً من حيث لا نشعر تأثّرنا بها، إذ الكثير من شبابنا وفتياتنا اليوم في الجامعات والمعاهد العلميّة يتربّون على روح هذا التفكير، لأنّ النظريات العلميّة الأكثر رواجاً اليوم هي النظريّات الغربيّة عادةً، وكثيراً ما بُنيت على أساس هذا التفكير.

الخطوة الثالثة: الاهتمام بالتحدّيات الكلاميّة المناطقيّة

كلّ منطقة لها مشاكلها الفكريّة والكلاميّة التي ربما لا وجود لها في المناطق الأخرى، والمتكلّم الإسلامي عليه أن يرصد هذه المشاكل المناطقيّة إضافةً إلى المشاكل المشتركة؛ لأنّ الكلّ وإن كانوا معنيّين بأن يهتموا بالمشاكل المشتركة، لكنّهم معنيُّون أكثر بالاهتمام بالمشاكل المناطقيّة نتيجةَ توزيع الأدوار، حيث لا يستطيع الكلّ أن يرصد جميع المشاكل والتحدّيات الفكرية خاصّةً إذا كانت في مناخٍ لا يعرفه.

فعلى سبيل المثال المتكلّم الإفريقي عليه أن يهتمّ بالمناخ الموجود في إفريقيا، ليعرف ما هي طبيعة المشاكل التي تواجه نمط تفكير الناس إزاء القضايا الدينيّة في هذه المنطقة، وهو بوصفه متكلّماً عليه أن يجيب عنها، ربّما الكثير من المشاكل هناك لا وجود لها في العالم العربي، وربّما يكون الكثير من مشاكل العالم العربي لا وجود له هناك، فبدل أن ننقل المشاكل غير الموجودة، علينا أن نبحث عن المشاكل الموجودة ونحلّها.

عدم وجود التخطيط في هذه الناحية قد يؤدّي إلى مثل هذه المشكلة، فبدل أن نأتي بموضوع ليس له وجود في هذه المناطق، ثم نطرحه فنخلق مشكلةً جديدة، ونزيد

الطين بلّةً، علينا أن نبحث عن المشاكل الموجودة في كلّ منطقة ونحاول حلّها، فعلى المتكلّم المعاصر أن يكون مهتمّاً بالمشاكل الموجودة في منطقته.

إذن، الخطوة الثالثة التي علينا القيام بها، هي القدرة على رصد المشاكل المشتركة بين المسلمين في العالم على مستوى القضايا الفكريّة والكلاميّة إلى جانب المشاكل الخاصّة، أي المشاكل المتعلّقة بقوميّات أو لغات أو مناطق جغرافيّة خاصّة، وهذا الجمع هو الذي يوزّع أدوارنا ولا يشتّت طاقاتنا ولا يورّطنا في استهلاكٍ عبثيّ لها.

الخطوة الرابعة: الاحتراز عن الأعمال الموازية

تحتاج المؤسّسة الدينية إلى أجهزة للتنسيق فيما بينها حتى تهتمّ بجميع المشاكل الفكريّة دون أن تهدر الطاقات في نقطةٍ معيّنة وحول مسألةٍ معيّنة، وهذا ما يحصل كثيراً للأسف في المؤسّسة الدينية، حيث يعمل أشخاصٌ مختلفون على موضوع معيّن من دون تنسيق فيما بينهم، الأمر الذي يؤدّي إلى ظاهرة الأعمال الموازية، فتعمل ثلاث مؤسّسات على تحقيق كتاب واحد، ويكتب أربعة أشخاص في نفس الوقت كتاباً في موضوعٍ معيّن من دون اطّلاع بعضهم على الآخر.

الخطوة الخامسة: الاهتمام ببعض المباحث التقليديّة في علم الكلام

ثمّة بعض المباحث التقليديّة في علم الكلام أخذت تحظى بأهميّة كبيرة اليوم، وهي مع الأسف في بحوثنا الكلاميّة قليلة، وتحتاج إلى مزيد من الاهتمام بها من قِبل الباحثين والعلماء، وسأذكر أنموذجين من هذه المباحث المهمّة:

مسألة المعاد.

عندما نراجع الكتب الكلامية نجد أنّ المباحث المتعلّقة بالمعاد قليلة، وهي في الغالب تعتمد النصوص القرآنيّة، حيث كانوا يعتمدون في قضيّة المعاد على القرآن الكريم والسنّة الشريفة أكثر من اعتمادهم على المعطيات العقليّة، فصارت بعض الكتب الكلامية في قضيّة المعاد أشبه بتفسير القرآن منها بالمباحث الكلاميّة.

بينما اليوم تحوّل المعاد إلى مسألة معقّدة وإشكاليّة، وعلى سبيل المثال مسألة الخلود وتناسب الذنب والعقاب من المسائل التي أثارت جدلاً واسعاً اليوم، على سبيل المثال كيف يمكن أن نجمع بين العدل الإلهي والإخلاد في النار؟ وكيف يمكن أن نقبل بأن يعصي شخصٌ مدّةً محدودة من الزمان لكنّه بسببها يُعذّب في النار خالداً إلى ما لا نهاية؟!

هذا الإشكال ليس جديداً، لكنّه اليوم يأخذ رواجاً كبيراً، ويكرّرونه ويعيدونه بهدف إثبات ظلم الدين للإنسان، وعدم إنسانيّة الدين، وأنّ هذا الاله الذي صوّروه لنا هو ظالمٌ جائر (والعياذ بالله)، وهذا موضوعٌ مهمّ.

الخلاصة .

إنّ علم الكلام ـ كأيِّ علم من العلوم ـ شهد تحوّلات وتطوّرات عديدة عبر التاريخ، فمني بتراجعٍ في فترة ما، وشهد تنامياً في فترة أخرى، وهذا أمرٌ طبيعي جداً، لكنّنا إذا أردنا اليوم أن نشهد تطوّر الكلام الإسلامي مجدّداً فعلينا أن نفتح باب الاجتهاد فيه، وهذا لن يحصل إلا من خلال الاعتراف بالآخر واحترامه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. **المرحلة الرابعة**

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المشكلات الكلامية الطارئة في العصر الحديث.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد- ﷺ -، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

لا شك أن هناك جانباً هامًا لا يزال محتفظًا بجدته وحيويته في القضايا المثارة في كتب الكلام لأنه متصل بالعقائد كالإيمان بالله تعالى ورسوله - ﷺ - والبعث والحساب والعقاب وما إلى ذلك من مسائل أصول الدين، ولهذا فإنه يحتفظ بأهميته ومكانته في العقول والقلوب، وينبغي أن يكون الأمر كذلك حيث يتحرى المسلمون معرفة أصول العقيدة فإذا درسناها وفق منهج صحيح واضح المعالم كما فعل علماء الحديث والسنة، فإنه يتيسر الوصول إلى الحقيقة بين وجهات النظر المتباينة.

ولا شك أيضًا أن مشكلات أخرى طرأت في العصر الحاضر لم تعرفها الأجيال الماضية ولا تدخل في نطاق القضايا الكلامية المثارة آنذاك بنفس المناهج، بالإضافة إلى الانقلابات الحادثة في نظم التعليم والاقتصاد والسياسة، وظهور التخصص في مجالات العلوم والمعارف.

كل هذا أدى إلى تشابك المشكلات وتداخلها. ولكن إذا أعدنا للأذهان مرة أخرى تعريف ابن خلدون لعلم الكلام - أي إنه يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية - رأينا أن ظهور القضايا الجديدة تشكل في مجموعها لونًا من علم الكلام الحديث أو المعاصر.

صحيح أن العلماء القائمين بدور الدفاع عن العقائد الإيمانية في عصرنا لا تنطبق عليهم أوصاف أسلافهم، ولكن حصيلة إنتاجهم العلمي يدخل في دائرة القضايا الكلامية حيث قاموا بالدفاع عن الإسلام - كل حسب تخصصه - وقد صدرت لهذا الغرض مئات المؤلفات والأبحاث، وكتبت آلاف المقالات، وانعقدت عشرات المؤتمرات والندوات، وكلها نتيجة جهود مخلصة لعلماء المسلمين في شتى صنوف العلوم والمعارف، واستهدفت الشرح والتفسير

والدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة ونظمًا وأخلاقًا وتشكل في مجموعها ملامح عامة، يدور حولها الفكر الإسلامي المعاصر،
واستيقظ الفكر الأوروبي، على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونًا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة .
إن فهم هذه الحقيقة كان دافعًا لإعادة الثقة بالنفس، والتحول من موقف الخضوع لسلطان الحضارة الغربية، إلى موقف منابذتها وإظهار القدرة الذاتية للإسلام في مواجهة التحديات، لأن العالم الإسلامي. ونلمح نموذجًا لهذا الموقف المتحدي من جانب الشيخ محمد رشيد رضا في قوله: نتحداهم بالقرآن - وهو يقصد الفلاسفة والمؤرخين من جميع الأمم ولا سيما أحرار الإفرنج - بأن يأتوا بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي مؤكدًا تقديم أسمى الحضارة على أساس قرآني، ويبدو أن هذه النزعة للشيخ السلفي أحدثت تأثيرًا حاسمًا في أغلب مفكري الإسلام المحدثين، إذ رأوا مثله، بأنه لا بد من إظهار حقيقة الإسلام كما عرفه السلف الصالح ورفض التأثيرات المتراكمة التي فصلت بين المسلمين في عصورهم الأخيرة وبين فهم أجدادهم للإسلام في القرون الأولى.
وفي ضوء ظروف العصر كان لا بد للنظر إلى الإسلام في شموله في ذاته لأنه يتناول الجانب المادي وحياة الروح معًا.
ويقتضي ذلك فصل الإسلام ذاته عن فهم المسلمين للإسلام خلال العصور المتأخرة لأنه بمضي العصور، وبسبب التقاء المسلمين بثقافات الأمم الأخرى، حدث أن تفرعت شعب ثلاث: أحدها فقهي، والثاني كلامي، والثالث أخلاقي، وكلما تقدم الزمن، انفصل بعضها عن بعض (بعد أن كان الإسلام وحدة شاملة) القاطع بين حقائق الدين ومعطيات العلم، وبالتالي إيجاد ثنائية بين التفكير العقلي واليقين القلبي، فموضوع العقل العلم وموضوع القلب الإيمان، وذلك تقليدًا لما حدث في أوروبا في عصر النهضة من انفصال بين الدين والعلم للأسباب التي قامت هناك حينذاك.
ثم تغيرت هذه الصورة رويدًا رويدًا عندما انتشر التعليم، وأعيدت الثقة في النفوس وقام العلماء بشرح الآيات القرآنية في ضوء الاكتشافات العلمية، وظهرت حقيقة التوافق بين الإسلام والعلم بالأدلة التي لا تقبل الشك.
وهنا نجد الدكتور موريس بوكاي يبدي دهشته البالغة عندما يستكشف في بحثه المبتكر في هذا المجال التوافق التام بين النص القرآني ومعطيات العلم الحديث، ثم - سرعان ما يقرر أنه لا داعي للعجب أو الدهشة في هذا (إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام. وأن

تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا ، وفي ضوء الآفاق التي امتدت إليها البحوث العلمية، أصبح الأسلوب المقبول هو الذي استخدمه القرآن الكريم قبل نحو أربعة عشر قرنًا، ومن ثم فإن المنهج الذي اتبعه علماء السنة أي الاقتصار على استخدام الأدلة الشرعية هو المناسب أيضًا لطبيعة العصر إذ يمكن اليوم وضع تعاليم القرآن أمام الناس بنفس الأسلوب الفطري الذي نزلت به آياته.

الحقيقة بين التجربة العلمية والتجربة الدينية:

والتجربة، كما تنكشف في الزمان، تتمثل في ثلاث مستويات كبرى، هي موضوعات -مستوى المادة.. ومستوى الحياة.. ومستوى العقل وهي - على التوالي علم الطبيعة وعلم الأحياء وعلم النفس ولقد وجه النظر إلى بعض آيات الكتاب الكريم التي تتصل بالموضوع والتي منها قوله تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: آية ١٦٤] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران ١٩٠:{ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور : ٤٤
وعيرها من الآيات القرآنية التي فيها دلالة على امكانية تطبيق الحقائق العلمية المعاصر عليها.